...«وَإِنَّـهُ لنْ يُضيّعَنـــي»...

وهكذا حزن الصحابة رضي الله عنهم لصلح المشركين في الحديبية ، إلىٰ درجة أن عمر رضي الله عنه وقف من شروط الصلح موقفاً استنكارياً:

ولما التأَمَ الأمر ولم يبق إلاّ الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب فأتىٰ أبا بكر ، فقال: أليس برسول الله؟ قال: بلىٰ.

قال: أَوَلَسْنا بالمسلمين؟ قال: بلىٰ.

قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلىٰ.

قال: فعلامَ نُعطي الدَّنيّة[1] في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر ، الزم غرزه[2] فإني أشهدُ أنه رسول الله.

فقال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتىٰ رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله ، ألستَ برسول الله؟ قال: «بلىٰ».

قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: «بلىٰ».

قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «بلىٰ».

قال: فعلامَ نُعطي الدَّنيّة في ديننا؟

فقال عليه الصلاة والسلام: «أنا عبد الله ورسوله لن أُخالف أمره ولن يضيّعني».

قال: فكان عمر يقول: ما زلتُ أتصدّق وأصوم وأصلّي وأعتق من الذي

---

(١) أي: النقيصة.

(٢) كناية عن: اتبع قوله وفعله ولا تخالفه.

صنعتُ يومئذٍ ، مخافة كلامي الذي تكلّمتُ به حين رجوتُ أن يكون خيراً[1] .

أجل يا روح الوجود يا رسول الله!

لقد نظر عمر رضي الله عنه إلىٰ ظاهر الأمور ، فرأىٰ أن صلح الحديبية فيه ظلمٌ للمسلمين ، وشروطه قاسية عليهم ، وهكذا كانت نظْرة كثيرٍ من الصحابة .

أما المعصوم عليه الصلاة والسلام فكان حاله مع الصلح كما وصفه القرآن الكريم : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ١ ـ ٤] .

ولذلك عندما تحلّل المصطفىٰ ﷺ من إحرامه ، قام الصحابة تباعاً فحلقوا ، وقصّروا ، وتحلّلوا ، ثم انصرف الجميع من الحديبية بعد أن أقاموا بالحديبية بضعة عشر يوماً ، وفي الطريق إلىٰ المدينة أنزل الله سورة الفتح ، فقال أحدهم : يا رسول الله ، أفَتْحٌ هو؟ قال : «نعم ، والذي نفس محمدٍ بيده إنه لفتحٌ» فقُسمت خيبر علىٰ أهل الحديبية[2] .

ما سامني الدهر ضيْماً واستجرتُ به ... إلاّ ونلتُ جواراً منه لم يُضَمِ
ولا التمستُ غنىٰ الدارين من يده ... إلاّ استلمتُ النّدىٰ من خير مُستلمِ

* * *

(١) مسند أحمد : ٤/ ٣٢٥ ، تاريخ الطبري : ٢/ ٦٣٤ .
(٢) سنن أبي داود : ٣/ ١٧٤ .